

الدرس السابع

١. العقيدة - أركان الإيمان (الإيمان باليوم الآخر).
٢. الفقه - مسائل في الوضوء .
٣. من قصص القرآن - نبي الله صالح عليه السلام.
٤. الآداب والأخلاق - آداب الطريق في الإسلام (الجزء الأول).
٥. السيرة - هجرة النبي ﷺ .
٦. من سنن المصطفى ﷺ - هدي النبي ﷺ في السفر.
٧. من سير الرجال - الزبير بن العوام رضي الله عنه.

obbeikandi.com

أركان الإيمان « الإيمان باليوم الآخر »

❖ **الإيمان باليوم الآخر** : وهو يوم القيامة الذي يُعَثُّ الناس فيه للحساب والجزاء وسُمي بالآخر لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم^(١) (نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار) .

والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت^(٢) من فتنة القبر وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه وعن دينه وعن نبيه ، وعذاب القبر ونعيمه : فأما العذاب فإنه للظالمين وأما النعيم فللمؤمنين الصادقين^(٣) .

❖ عن البراء بن عازب — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره : (ينادي منادي من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدّاً البصر) نسأل الله من فضله ، وقال ﷺ في الكافر : (أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه

(١) شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ٤٠ .

(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٣) شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ٤٥ .

من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلعه) الحديث^(١). نسأل الله السلامة .

الإيمان بالبعث والنشور: وهو إحياء الموتى وقيامهم من قبورهم حيث يُنفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير محتنين ، قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال النبي ﷺ : (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةً غُرْلًا) متفق عليه^(٢) (وتدنو الشمس من الناس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين .. ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] وتنشر الدواوين ، وهي صحائف العمال فأخذ كتابه بيمينه ، وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره .. ويُحاسب الله الخلق^(٣) .

ومن الإيمان باليوم الآخر أيضاً الإيمان بالحساب والجزاء فيحاسب العبد على عمله ويجازى عليه قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] وقال تعالى : ﴿ إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] .

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالجنة والنار، وأههما المال الأبدي والمستقر الأخير للخلق ، فالجنة دار النعيم أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم من الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله ، فيها

(١) رواه أبو داود رقم (٣٢١٢) في الجنائز وإسناده حسن / جامع الأصول (١١/٨٧٠٨).

(٢) شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ٤٠.

(٣) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

أنواع النعيم قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] ، وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخاطر على بال .^(١)

✽ وقيام الساعة أو اليوم الآخر، مما استأثر الله بعلمه ، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه، قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] .

✽ ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر وحكمته أن يعمل الخلق وينتظروا جزاء عملهم ، ولو لم يكن الأمر كذلك لأدى إلى التسوية بين المحسنين والمسيئين وبين الظالمين والمقسطين وحاشى لله أن يكون الأمر عنده كذلك . قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجن: ٢١] وقال سبحانه : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [ما لكم: ٣٥-٣٦] .

فيتسلى المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها ، ويرغب في فعل الطاعة رجاء جزاءها الحسن، ويرهب من فعل المعصية خوفاً من عقابها في ذلك اليوم .^(٢)

(١) شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ٤٣ .

(٢) شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٤٦ .

ويعرف فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة الموجب
لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله. (١)

❖ قال ابن عبد البر: "وأما الإقرار بالجنة والنار فواجب مجتمع عليه ألا
ترى ذلك مما يكتب في صدور الوصايا مع الشهادة بالتوحيد وبالنبي ﷺ" (٢).

❖ ويقول القاضي عياض: "وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو
الحساب أو القيامة فهو كافر بالإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله
متواتراً" (٣)

(١) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٢٩/١).

(٢) التمهيد (١٩٠/١٢).

(٣) الشفا (١٠٦٧/٢).

مسائل في الوضوء

المسألة الأولى : فروض الوضوء أو أركان الوضوء :

وهي التي نصت عليها آية الوضوء في كتاب الله تعالى بقوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦] .

وللوضوء صفتان : صفة واجبة وصفة مستحبة ، وحديثنا سيكون عن
الصفة الواجبة وتتضمن الآتي :

غسل الوجه : والوجه حده طولاً من منحنى الجبهة (منابت شعر الرأس
المعتاد) إلى أسفل اللحية ، وعرضاً من الأذن إلى الأذن ، والفم والأنف من
الوجه لوجودهما فيه وداخلان في حده ، وعلى هذا فالمضمضة والاستنشاق من
فروض الوضوء ولما دل عليه وضوء النبي ﷺ .

وغسل اليدين : وخذ اليدين من أطراف الأصابع إلى المرفقين لقوله تعالى :
قال تعالى : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦] .

ومسح الرأس : والفرق بين الغسل والمسح : أن المسح لا يحتاج إلى جريان
الماء ، بل يكفي أن يغمس يده في الماء ثم يمسح بها رأسه مبلولة بالماء . ولو
مسح مقدمة الرأس أو بعضه دون بقية فإنه لا يجزئه لقوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُوا
بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] ولم يقل ببعض رؤوسكم .

ومسح الأذنين : تمسح الأذنان بعد الرأس لمواظبة النبي ﷺ على مسح الأذنين في الوضوء ، ولكن لا يأخذ لهما ماءً جديداً وإنما يمسحهما بما تبقى من ماء الرأس . ولقول النبي ﷺ : (الأذنان من الرأس)^(١).

وغسل الرجلين : وهما القدمان مع الكعبين ، والكعبان هما العظامان الناتقان بأسفل الساق من جانب القدم ، فالقدم كله يغسل .

والترتيب في وضوء الأعضاء المذكورة فرض ، لا يجوز تقديم بعضها على بعض : غسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق ، ثم غسل اليدين إلى المرفقين ثم مسح الرأس ، ثم مسح الأذنين ، وأخيراً غسل الرجلين .

وأخيراً الموالاتة : والمقصود بها: غسل أعضاء الوضوء المذكورة بحيث لا يؤخر غسل عضو زماً حتى ينشف الذي قبله (في الجو المعتدل البرودة والرطوبة والحرارة) ، فلا يؤخر غسل اليدين حتى يجف الوجه وهكذا فقد (رأى النبي ﷺ رجلاً توضأ وترك على ظهر قدمه مثل موضع الظفر ، لم يصبه الماء فأمره أن يعيد الوضوء)^(٢).

ومن المسائل المتعلقة فيما سبق :

* لا يُجزأ أن يمسح الإنسان وجهه بالماء مسحاً لأن فرضه الغسل لا المسح.

* يغسل ما استرسل من اللحية ، وإذا كان شعر اللحية خفيفاً وجب إيصال الماء إلى ما تحته ، وإن كان كثيفاً يغسل ظاهره ويخلل باطنه سنة من سنن الوضوء .

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني / صحيح ابن ماجه (٧٤/١) .

(٢) رواه أحمد (٤٤٦/٣) وابو داود رقم (١٧٣) في الطهارة ، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (١٦٧) .

* يمسح الرأس مرة واحدة ولا يُكرر المسح .

* مسألة : هل يسقط الترتيب بين أعضاء الوضوء بالجهل أو النسيان ؟ قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله : " لو فرض أن رجلاً جاهلاً في بادية ومنذ نشأته وهو يتوضأ من غير ترتيب ، فقد يتوجه القول بأنه يعذر بجهله كما عذر النبي ﷺ أناساً كثيرين بجهلهم في مثل هذه الأحوال (١) .

* يكفي فيما يجزأ من الوضوء : المضمضة والاستنشاق وغسل الوجه مرة واحدة .

* لا يجزأ الوضوء إذا وجد على أعضاء الوضوء ما يمنع وصول الماء إليها كالعجين أو الطين أو الأصباغ ذات الجرم وهكذا ..

* السنة أن لا يسرف في استعمال الماء عند الوضوء ، فقد كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد وهو (ملء كفي الرجل المعتدل)

* التسمية في أول الوضوء واجبة إذا كان المتوضئ ذاكراً لها، وإن نسيها فلا شيء عليه .

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١/١٥٥).

نبي الله صالح عليه السلام (١)

نبي ثمود ، وهم قبيلة مشهورة يقال لهم ثمود باسم جدتهم ثمود. وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وقد مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك. بمن معه من المسلمين وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله : صالح بن عبيد بن ماسح يرد نسبه إلى نبي الله نوح فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الأصنام فأمنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم.

قال تعالى: ﴿وَاللّٰهُمَّ صَلِّحْ قَالِ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُواْ اِلَيْهِ اِنَّ رَبِّيْ قَرِيْبٌ مُّجِيْبٌ ﴿٦١﴾ [هود: ٦١] .

وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوماً في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - نافقة من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافاً وتعنتوا فيها وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا فقال لهم نبي الله صالح: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم أتؤمنون بما جئتمكم به وتصدقوني؟ قالوا:

(١) انظر قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير رحمه الله.

نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام إلى مصلاه فصلى الله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذي طلبوا فلما عاينوها رأوا أمراً عظيماً هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً فأمن كثير منهم واستمر أكثرهم على الكفر والضلال وعاندوا ولهذا قال تعالى: ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩] أي جحدوا بها ولم يتبعوا الحق فقال لهم صالح عليه السلام: (هذه ناقة الله) أضافها إلى الله وهي إضافة تشریف وتعظيم (لكم آية) أي دليل على صدق ما جئتكم به (فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيصيبكم عذاب قريب) أي على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوماً بعد يوم أي يوم لهم ويوم لها فكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر كله فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا قال تعالى: ﴿ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥] فكان ذلك فتنة لهم وامتحان كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ [القمر: ٢٧] أي اختبار لهم أيؤمنون بها أم يكفرون؟ والله اعلم بما يفعلون (فارتقبهم) أي انتظر ما يكون من أمرهم (واصطبر) على أذاهم فسيأتيك الخبر.

فلما طال عليهم هذا الأمر اجتمع ملؤهم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها وزين لهم الشيطان أعمالهم: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَثْنَتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧] وكان الذي قتلها رئيسهم قدار بن سالف بن جندع، وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلماذا نسب الله الفعل إليهم كلهم، فلما جاء اليوم الذي بيتوا فيه أمرهم رصدوا للناقة فلما صدرت من وردها كمن لها رجل يقال له

« مصرع » فرماها بسهم فانتظم في ساقها فشد عليها « قدار بن سالف » بالسيف فكشف عن عرقوها فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت رعاة عظيمة ثم طعنها في لبتها فنحرها فانطلق فصيلها فصعد جبلاً منيعاً ورغا ثلاثاً، قال الله تعالى حكاية عن قبيح صنيعهم: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٣﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٤﴾ ﴾ [الشمس: ١٢-١٣] أي احذروها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٥﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٦﴾ ﴾ [الشمس: ١٤-١٥] ﴿ وَقَالُوا يَا صَٰلِحُ إِنَّا مُّبْرَأُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٧] فجمعوا في كلامهم هذا كفر بليغ ، لهذا قال صالح : ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿١٨﴾ فَلَمْ يَصْدُقْوه، فلما أمسوا هموا بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ٤٩] أي لنكبسنه في داره مع أهله فلنقتلنه ثم نجحدن قتله وننكر ذلك إن طالب أولياؤه بدمه ولهذا قالوا: ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٩] فكان الله لهم بالمرصاد قال تعالى: ﴿ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٢﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل: ٥٠-٥٢] .

وذلك أن الله تعالى أرسل على الذين قصدوا قتل صالح حجارة رضختهم فأهلكهم سلفاً وتعجلاً قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة وجوهم مصفرة ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وجوهم محمرة فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضى يومان من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت وجوهم مسودة فلما

أمسوا نادوا: ألا قد مضى الأجل فلما كانت صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا
 وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة، لا يدرون كيف
 يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب فلما أشرقت الشمس جاءتهم صبيحة
 من السماء من فوقهم ورجفة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس
 وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا في دارهم
 جامئين لا أرواح فيها ولا حراك بها، لم يبق منهم أحد قال الله تعالى: ﴿كَأَن
 لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود:٦٨] أي لم يقيموا فيها سعة ورزق وغناء ﴿أَلَا إِنَّ
 ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود:٦٨].

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسألوا الآيات وقد سألتها
 قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم
 فعقروها، كانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فعقروها فأخذتهم
 صبيحة أهدم الله - عز وجل - من تحت أديم السماء).

وأخيراً: وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان
 حين حج قال: (يا أبا بكر أي واد هذا؟) قال: وادي عسفان، قال: (لقد مر
 به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف أزرقهم العباء
 أرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق) إسناده حسن.

آداب الطريق في الإسلام (الجزء الأول)

نقرأ في كتاب الله تعالى وصية لقمان لابنه وهو يقول : ﴿ يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾ [لقمان: ١٧-١٩] (١)

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : " هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ، ليمثلها الناس ويقتدوا بها .. " وهي من قصص القرآن الكريم "

كما جاء في محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤﴾ [الإسراء: ٣٧-٣٨] وفي السنة المطهرة يقول النبي ﷺ : (إياكم والجلوس في الطرقات . قالوا : يا رسول الله ما لنا من بد مجالسنا نتحدث فيها ، قال رسول الله ﷺ : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا وما حقه ؟ قال :

(١) تفسير القرآن العظيم / سورة لقمان .

غض البصر ، وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .

آداب جمعة ، وأخلاق رفيعة ، ومنهج سلوك لا مثيل له ، يرشد له ديننا الحنيف الذي امتاز بالشمول ، ومن ذلك آداب الطريق ومجالس الأسواق وحقوق المارة وآداب الجماعة . ومن تلك الآداب المتعلقة بحقوق الآخرين : المشي فالمسلم مأمور بالمشي المحمود في طرقات المسلمين ، سواءً كان راجلاً أو ركباً، في طريقه أو في سوقه، وهو المشي الذي وصفه الله بـ"المشي الهون"، وهو من أجمع التعابير وأجملها ، فالهون يعني مجانبة الكبر والخيلاء، ومتضمن للوقار والسكينة، من غير تماوت أو مذلة، فالأدب المطالب به المسلم في طرقات المسلمين أن لا يسير سير الجبارين ولا يضطرب في خفة الجاهلين، ويتأكد هذا الخلق والآداب حين يكون الزحام، ويضيق المكان، ويكون أكد وأكاد في أماكن العبادة مثل بقاع المناسك ومواقع المشاعر التي حرمتها أعظم من غيرها ، ويقبح ويكون الأمر أشد نكارة حينما يكون في المشي أو السير تعرض لمحارم الله وأعراض المسلمين .

وإذا كان هذا في حق الرجال، فحقه في أمر النساء أعظم ، فقد أمرهن الرسول ﷺ أن يأخذن بحافات الطريق ولا يزاغن الرجال،^(٢) ومن وصايا المولى جل وعلا في كتابه الكريم لآداب سير ومشى المؤمنات في الطرقات قوله:

(١) رواه البخاري (٩٠١٠/١١) في الاستئذان .

(٢) الحديث في سنن أبي داود رقم (٥٢٧٢) في الأدب « قال أبو أسيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق (استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق — أي تأخذن الوسط — عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) قال الألباني رحمه الله وبالجمله فالحديث حسن / سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٦/٢).

﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] فقد كانت المرأة في الجاهلية إذا مشت في الطريق وفي رجلها خلخال ضربت الأرض برجلها ليسمع الرجال طنينه ، فنهين عن ذلك لئلا تثور غرائز الرجال . ومنه نعلم أن الشارع يسد كل باب يفضي إلى الفساد أو الفتنة، فلتعلم المؤمنات ضوابط الشرع في مشيهن وعند خروجهن وإذا ما دعت الضرورة إلى اختلاطهن بالرجال في طريق أو مكان، ولا تكن ممن يصدق وصف القائل فيها: " نظرت إلى الهيجاء قد طار غبارها، وثارت نائرتها، فإذا هي امرأة متشحة بالسواد، ولكنه سواد عباءة مطرزة قد جُمِلت بخطوط مذهبة، يعلوه غطاء للوجه ذا ملمس ناعم شفاف، أو ذو ثقوب يزيد الغطاء فتنة وإغراء" فعلى المرأة المسلمة أن لا تمشي في طرقات المسلمين وأسواقهم ، لتؤذي من مرت عليه من الرجال.. أو تمشي في وسطهم لا تبالي بالمرور بينهم أو الاحتكاك ببعضهم مما يُجرُّ السفهاء بالتعرض لها أو الإساءة إليها ، أو ترفع صوتها بالحديث أو الضحكات مما يسقط حشمتها واحترامها فيبتدئها من في الطريق ولا يحفظ لها حرمة .

ومن آداب المشي في الطريق ترك الكبر راجلاً أو راكباً ، فلقد ذم رسول الله ﷺ المتكبرين في طرق المسلمين وحذر من عاقبة سير المعجبين بأنفسهم فقال عليه الصلاة والسلام : (بينما رجل يتبختر في برديه أعجبتة نفسه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)^(١) وقال ﷺ : (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم)^٢ يتخفف بهذا ويهزأ بذلك، لا يحترم صغيراً ولا يوقر كبيراً ولا يعرف لأهل

(١) رواه البخاري (٢٢٢/١٠) في اللباس ، ومسلم رقم (٢٠٨٨) في اللباس .

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠١) في البر والصلة / باب ما جاء في الكبر وقال حديث حسن غريب .

الأعذار والاضطرار حق أو يسعى لهم بحاجة . وهو مرض والعياذ بالله، وداء
عضال، عافانا الله وإياكم منه ، يتلى به بعض الناس فيسيئون لأنفسهم باحتقار
الناس لهم قبل أن يسيئوا لغيرهم .

فإياك والكبر ، وتذكر بأنك مخلوق ضعيف تؤذيك البقرة وتحمل في بطنك
الغدره، وأنت في قبرك جيفة قدرة.

مر طاووس بن كيسان التابعي الجليل إمام عصره على بعض أبناء المترفين
وكان يختال في مشيته قطعته في جنبه بأصبعه وقال له : ليس هذا شأن من في
بطنه خراء!!.

هجرة النبي ﷺ

في صحيح البخاري/ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ..

(تقول عائشة — رضي الله عنها — بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهرية قال قائل لأبي بكر ، هذا رسول الله ﷺ متقنعاً ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك ، بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم)^(١)

فرجع رسول الله ﷺ إلى بيته بعد أن أتم خروجه بالهجرة ، ينتظر مجيء الليل. قال ابن إسحاق : " فلما كانت عتمة الليل اجتمع كفار قريش على بابه يرصدونه ليثبون عليه عند نومه .

ونام علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ وتسحّى ببردته وقال له الرسول ﷺ : (إنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم) بهذا اليقين العظيم منه عليه الصلاة والسلام وبهذا التوكل منه رضي الله عنه تم ما اتفقا عليه.

ثم خرج رسول الله ﷺ واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من تراب فجعلها على رؤوس القوم دون أن يروه ، وأتى دار أبي بكر ومن خوخة من باب خلفي

(١) صحيح البخاري (٥٥٣/١) ، ابن هشام (٤٨٦/١) .

في دار أبي بكر خرج رسول الله ﷺ وصاحبه ليلاً حتى لحقا بغار ثور في اليمن ، وهو غار في جبل شامخ وعر الطريق، صعب المرتقى، ذا أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ ، ولما انتهيا إلى الغار ، قال أبو بكر رضي الله عنه : والله لا تدخله يا رسول الله حتى أدخله قبلك ، فإذا كان فيه شيء أصابني دونك فدخل قبله رضي الله عنه وأرضاه ، ومكثا في الغار ثلاث ليال، كان أهل بيت أبي بكر رضي الله عنه في خدمة رسول الله ﷺ وصاحبه طوال هذه الرحلة، على ما فيها من مشاق ومخاطر فأكرم بها من أسرة .

فقد كان عبد الله بن أبي بكر ينقل أخبار قريش للرسول ﷺ وصاحبه وهم في الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين تحمل بنطاقها الزاد لهما ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح عليهما سارحة أبي بكر بليل فيشربون من لبنها، ثم يتبع بها أثر عبد الله بن أبي بكر فيمحوه من الغار إلى مكة، رضي الله عنهم أجمعين .

ولما أيست قريش من العثور على الرسول ﷺ وصاحبه، فرضت عطاءً مجزلاً ومكافأةً ضخمةً لمن يأتي بهما حييين أو ميتين مائة من الإبل بدل كل واحد منهما، حتى وصل المطاردون لهما الغار، ولكن الله غالب على أمره .

روى البخاري عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا ، قال ﷺ : (أسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما)^(١) وقد كانت معجزة، أكرم الله بها نبيه، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينهم وبين المهاجرين إلا خطوات معدودة .

(١) صحيح البخاري (٥١٦/١) .

وحين حمدت نار الطلب، خرج رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة، وقد استأجرا هادياً ماهراً بالطريق، فسار بهما على طريق الساحل وسلك طريقاً لم يسلكه أحد إلا نادراً، حتى هبط بهما في بطن رئم ثم قدم بهما على قباء، وكان ذلك يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة وهي السنة الأولى للهجرة.

قال عروة بن الزبير: "سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة.

فلما كان اليوم الذي أقبل عليهم ودخل المدينة هو وصاحبه، قال ابن القيم رحمه الله: "سمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحاً بقدوم رسول الله ﷺ وخرجوا للقائه، فتلقوه، وحيوه بتحية النبوة، فأحذقوا به مطيعين حوله والسكينة تغشاه، والوحي يتنزل عليه وكان يوماً مشهوداً لم تشهد المدينة مثله في تاريخها".

هدي النبي ﷺ في السفر

للرسول ﷺ في سفره هدياً وسناً تستحب:

✽ من ذلك .. استحبابه السفر يوم الخميس. فعن كعب بن مالك ﷺ :
 (لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفره إلا يوم الخميس)^(١) وفي
 رواية: (وكان يجب أن يخرج يوم الخميس)^(٢) .

✽ ومن هديه ﷺ في السفر دعاءه التالي : فعن ابن عمر رضي الله عنهما،
 أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبير ثلاثاً ثم قال:
 (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم
 إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون
 علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في
 الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في
 المال والأهل) وإذا رجع قالهن وزاد عليه: (آيئون تائبون عابدون لربنا
 حامدون)^(٣) .

✽ وإذا دخل عليه الليل وهو في سفره قال: (يا أرض ربي وربك الله أعوذ
 بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما دب عليك، أعوذ بالله

(١) أخرجه البخاري / كتاب الجهاد والسير رقم (٢٩٤٩ — ٢٩٥٠) (١٣٢/٦) فتح الباري.

(٢) أخرجه البخاري / كتاب الجهاد والسير رقم (٢٩٤٩ — ٢٩٥٠) (١٣٢/٦) فتح الباري.

(٣) أخرجه مسلم / كتاب الحج (١١٠/٩) مسلم بشرح النووي.

من شر أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن شر والد وما ولد^(١)

ومن هديه عليه الصلاة والسلام في السفر قصر الصلاة الرباعية فعن موسى بن سلمة الهذلي قال: سألت ابن عباس كيف أصلي إذا كنت بمكة إذا لم أصل مع الإمام؟ فقال: ركعتين سنة أبي القاسم ﷺ^(٢).

ومن هديه في السفر الجمع بين المغرب والعشاء وبين الظهر والعصر إن احتاج إلى الجمع. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاة في سفرة سافرهما في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال سعيد: فقلت لابن عباس ما حمله على ذلك؟ قال: أراد أن لا يخرج أمته.^(٣)

ومن هديه عليه الصلاة والسلام في السفر أنه يصلي التطوع على راحلته أينما توجهت به ولو إلى غير القبلة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به يومئذ إماماً، صلاة الليل إلا الفرائض، ويوتر على راحلته.^(٤) وعن جابر بن عبد الله عند البخاري: فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل فاستقبل القبلة.^(٥)

(١) أخرجه أحمد / كتاب السفر وآدابه (٧٦/٥).

(٢) أخرجه مسلم / كتاب صلاة المسافرين (١٩٧/٥) مسلم بشرح النووي وأخرجه النسائي (٣/١١٩) بحاشية السيوطي والسندي.

(٣) أخرجه مسلم / كتاب صلاة المسافرين / باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر (٢١٦/٥) مسلم بشرح النووي.

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٠٩٦) (١٦٩/٢) فتح الباري، مسلم / كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢١٠/٥) مسلم بشرح النووي.

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٠٩٩) (٦٧/٢) فتح الباري.

❁ ولم يكن من هديه ﷺ أن يصلي الرواتب في السفر فيكون من السنة تركها في السفر. قال ابن عمر رضي الله عنهما: صحبت رسول الله ﷺ في السفر فما رأيته يسبح ولو كنت مسبحاً لأتممت، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ^(١)

❁ قال ابن القيم رحمه الله في الهدى: « وكان من هديه ﷺ في سفره الاقتصار على الفرض، ولم يحفظ عنه أنه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها إلا ما كان من سنة الوتر والفجر فإنه لم يكن ليدعها حضراً ولا سفيراً.

❁ ومن هديه في السفر المسح على الخفين والجوربين ثلاثة أيام ولياليهن قال عليه الصلاة والسلام: (للمسافر ثلاثة أيام وللمقيم يوم وليلة) ^(٢)

❁ ومن هديه ما قال عليه الصلاة والسلام: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) ^(٣)

❁ ومن هديه ﷺ إذا نزل منزلاً في طريق سفر أو نحوه ما قال عليه الصلاة والسلام: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) ^(٤).

(١) أخرجه مسلم / كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١٩٧/٥) مسلم بشرح النووي.

(٢) أخرجه مسلم / كتاب الطهارة (١٧٥/٣) وأخرجه أحمد / الفتح الرباني رقم (٣٣٥) (٦٤/٢).

(٣) أخرجه أبو داود / كتاب صلاة السفر رقم (٢٦٠٨) (٣٦/٣) سنن أبي داود.

(٤) أخرجه مسلم / كتاب الذكر والدعاء (٣١/٧) مسلم بشرح النووي.

الزبير بن العوام رضي الله عنه (١)

هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى كانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتفى هو بابنه عبد الله فغلبت عليه، أسلم وله اثنتا عشر سنة وقيل ثمان سنين فكان عمه فيما بعد يعلقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول : لا أكفر أبداً.

أعدته أمه إعداد الرجال فضربته مرة وهو صغير وأغلظت عليه فعاتبها نوفل بن خويلد عمه وقال لها : ما هكذا يضرب الولد إنك لتضربينه ضرب مبغضة فرجرت صفية :

من قال إني ابغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلبس
ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولا يكن لماله خبأ مخب

يأكل في البيت من تمر وحب

أخرج البخاري عن عروة قال: قاتل الزبير وهو غلام بمكة رجلاً فكسر يده فمر بالرجل محمولاً على صفية مكسورة يده فسألت عنه فقيل لها فقالت تفاخر بابنها: كيف رأيت زبراً؟ أقطاً وتمرأ؟ أو مشعلاً صقراً..

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤٥٧/٢) وأسد الغابة (٢٩٥/٢).

هاجر الزبير الهجرتين وآخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة فلما قدم المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش.

❁ وصفه :

وقال عروة : كان الزبير طويلاً تخط رجلاه الأرض، وروى ابن سعد بإسناد صحيح قال: كانت على الزبير عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر فقال النبي ﷺ (إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة.

ولما قيل لعثمان رضي الله عنه استخلف الزبير قال: أما إنه لأخيرهم وأحبهم إلى رسول الله ﷺ أخرجه أحمد والبخاري .

وفيه يقول حسان بن ثابت :

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل

فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما كان يذبل

وهو أول رجل سل سيفه في الله وذلك أن الشيطان نفخ نفخة فقال: أخذ رسول الله ﷺ فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلى مكة .

قال الزبير : « قال لي رسول الله ﷺ فذاك أبي وأمي » فهو من القلة الذين جمع لهم رسول الله ﷺ أبويه . وقال النبي ﷺ يوم بني قريظة : (من يأتيني بخبر القوم) فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ : (إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير) .

قال ابنه عروة : كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف كنت أدخل أصابعي فيها : ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: كان أبوك من الذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرع ، تريد أبا بكر والزبير .
أوصى إليه عثمان والمقداد وابن مسعود وابن عوف وغيرهم فكان يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله، وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فكان لا يدخل بيته شيء منها وإنما كان يتصدق به كله فمدحه حسان رضي الله عنه فقال:

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصلو إذا ما كان يوم محجل
له من رسول الله قربي قريبة ومن نصرته الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما دام يذبل
❀ وفاته :

قتل الزبير رضي الله عنه بعد أن انصرف يوم الجمل، فقد روى ابن سعد بإسناد صحيح أن ابن عباس قال للزبير يوم الجمل أجنحت تقتل ابن عبد المطلب؟ قال: فرجع الزبير رضي الله عنه فلقى ابن جرموز فقتله غدراً. يمكن يقال له واد السباع وقيل في سفوان — وهي ماء على قدر مرحلة من المربد بالبصرة وكان ذلك في جماد الأولى سنة ست وثلاثين للهجرة وله ست وستون سنة.

وقيل: إن ابن جرموز استأذن علي بن أبي طالب فلم يأذن له وقال للآذن: بشره بالسنار ، وفي رواية أن ابن عباس قال لعلي: أين يدخل قاتل ابن صفية؟ قال: النار، رواه ابن سعد بإسناد صحيح.